بسم الله الرحمن الرحيم

مرتكزات الوسطية في السنة النبوية

هيفاء عبد العزيز سلطاني الأشرفي*

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلله فلا هادي له، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا، أما بعد:

فقد شاءت الحكمة الإلهية أن يكون الإسلام صالحا لكل زمان ومكان دون الأديان والعقائد والمذاهب الأخرى، فميّز الله تعالى الأمة الإسلامية بميزة لم تكن لأمة من الأمم السابقة وهي "خصيصة الوسطية"، كما جاء في قوله سبحانه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]، وهذه الخصيصة تمنح الإسلام القدرة على الديمومة والثبات من جهة، والقدرة على المرونة لمواجهة الحالات المتجددة والمتغيرة من جهة أخرى.

فالوسطية منهج شرعي، بعث الله به نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم للأمة كافة لتعديل حياتهم وتوازنها، ولكن العديد من أبناء الإسلام ابتعدوا عن هذا المنهج وسلكوا مسلك التساهل أو الغلو، والإفراط أو التفريط، لذلك كان لا بد من التنبيه على أهمية تفعيل هذه الخصيصة في حياتنا المعاصرة، والتي من خلالها يتم تحقيق مبدأ التوازن والاعتدال في أمورنا كلها محافظين على الأصول والثوابت، ومتكيفين مع المستجد المعاصر.

والوسطية تعني الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، وقصد الشارع

---

* دكتوراه في دراسات القرآن والسنة، الجامعة الإسلامية العالمية ـ ماليزيا.

١- سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

منها حمل المكلف على التوسط من غير إفراط ولا تفريط[٢]. فوسطية المسلم تجعله في حالة اعتدال وتوازن وتآلف في علاقته مع ربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع البشر، وعلاقته مع الكون حوله، وتجنبه المشقة والتشدد والإفراط أو التفريط، وتدفع عنه الحرج في جميع أموره. فالمسلم يسلك مسلك الوسطية في كل أموره، بعيدا عن التشدد أو التساهل، فلا يغلو كغلو النصارى ولايقصر كتقصير اليهود.

وتهدف هذه الدراسة إلى إلقاء الضوء على المرتكزات التي كانت حجر الأساس في تطبيق منهج الوسطية، وذلك من خلال المنهج الاستقرائي الاستنباطي لجمع النصوص والشواهد الواردة حول هذا الموضوع وبيان دلالاتها ومعانيها المؤكدة على الوسطية.

وقد تطرق الباحثون لموضوع الوسطية في العديد من الكتيبات أو في أبحاث المؤتمرات وغيرها من الأبحاث الفردية، ومنهم الأستاذ أحمد عمرهاشم في كتابه **وسطية الإسلام**[٣]، وناصر بن سليمان العمر في بحثه **الوسطية في ضوء القرآن الكريم**[٤]، ومحمد بن عمر بازمول في بحثه **أدلة الوسطية من القرآن والسنة**[٥]، وخالد بن عبد الله العيد في بحثه **الوسطية: مفهومها ودلالاتها في السنة النبوية** حيث حاول ربط المعاني اللغوية للوسطية بدلالاتها في السنة النبوية[٦]، ومحمد أبو الفتح البيانوني في كتابه **الوسطية خصيصة الأمة الإسلامية**[٧]، لكني لم أقف على دراسة علمية مستقلة لبيان مرتكزات الوسطية في السنة، كما هو الهدف من هذا البحث.

وتسعى هذه الورقة إلى إبراز مفهوم الوسطية وبيان مرتكزاتها في السنة النبوية من خلال تمهيد يبين مفهوم الوسطية، وخمسة مطالب لعرض مرتكزات الوسطية في السنة النبوية، وهي: المرتكز الأول: الشمول، المرتكز الثاني: التوازن والاعتدال، المرتكز الثالث: العدل، المرتكز الرابع: التيسير، المرتكز الخامس: البعد

٢- انظر: إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي، **الموافقات في أصول الفقه**، تحقيق: عبد الله دراز، دار المعرفة، بيروت ، ج ٢، ص ٢٧٩، وج ٤، ص ٢٥٨.

٣- أحمد عمر هاشم، **وسطية الإسلام**، دار الرشاد، ١٩٩٨م.

٤- ناصر بن سليمان العمر، **الوسطية في ضوء القرآن الكريم**، دار الوطن، ١٤١٣هـ.

٥- محمد بن عمر بازمول، **أدلة الوسطية من القرآن والسنة النبوية**، دار الإمام أحمد، ١٤٢٧هـ.

٦- خالد بن عبد الله العيد، "الوسطية مفهومها ودلالاتها في السنة النبوية"، **مجلة الدراسات الإسلامية**، جامعة الملك سعود، ١٤٣٥هـ.

٧- محمد أبو الفتح البيانوني، **الوسطية خصيصة الأمة الإسلامية**، دار اقرأ للنشر والتوزيع، ط ١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

عن التنطع والتعصب، ثم خاتمة توضح أهم نتائج البحث وتوصياته[٨].

تمهيد: مفهوم الوسطية ومرتكزاتها في السنة

الوسط من كل شيء: أعدله[٩]. والواسط: هو المعتدل من كل شيء[١٠]. وهو وسيط فيهم، أي: أوسطهم نسبا، وأرفعهم محلا[١١]. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[١٢]، أي: عدلا خيارا[١٣]. "والمعنى أنهم وسط لتوسطهم في الدين، فلم يغلوا كغلو النصارى، ولم يقصروا كتقصير اليهود، ولكنهم أهل وسط واعتدال"[١٤]. ومنه قول الأعرابي: "علمني دينا وسوطا لا ذاهبا فروطا ولا ساقطا سقوطا، فإن الوسوط هنا المتوسط بين الغالي والتالي"[١٥].

وإذا كان المفهوم اللفظي للوسطية يوحي بالتوسط بين أمرين اثنين، فيتبادر إلى ذهن السامع أن المراد به: الوقوف في النقطة الوسط في الشيء الواحد أو بين شيئين مختلفين، فإن المفهوم الشرعي لمصطلح الوسطية أعم من ذلك وأشمل، فهو: الاعتدال والتوازن بين الأشياء[١٦]، أو في التعامل مع الشيء الواحد. وقد فرق الإمام ابن حجر بين الوسط والمتوسط الذي هو بمعنى النقطة أو المكان الوسط بين الشيئين، فقال

٨- البحث في أصله ورقة مقدمة إلى الندوة الأولى حول: الوسطية الإسلامية: مفهومها وتطبيقاتها، ٢٣-٢٤/ ٨/ ١٤٣٦هـ، الموافق: ١٠-١١/ ٦/ ٢٠١٥م، قسم الدراسات الإسلامية، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة جاكرتا الحكومية، إندونيسيا، وقد تم تطويرها للنشر في المجلة.

٩- انظر: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٣٠٠، ومحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٦٩١.

١٠- أبو الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ط٢، ج ١٣، ص ٢٦٧.

١١- الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص ٦٩٢.

١٢- سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

١٣- انظر: الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص ٦٩٢.

١٤- انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج ٨، ص ١٧٣.

١٥- انظر: أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ/ ١٩٩٠م، ج ٧، ص ٣٦٦.

١٦- انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، **الوسطية خصيصة الأمة الإسلامية**، دار اقرأ للنشر والتوزيع، الكويت، ط١، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م، ص ١١.

في معرض شرحه لمعنى الصلاة الوسطى: "والأوسط: الأعدل من كل شيء، وليس المراد به التوسط بين الشيئين، لأن فُعلى معناها التفضيل ولا ينبني للتفضيل إلا ما يقبل الزيادة والنقص، والوسط بمعنى الخيار والعدل يقبلهما، بخلاف المتوسط فلا يقبلهما، فلا يبنى منه أفعل تفضيل"(١٧). فليس كل متوسط هو وسطية.

والوسطية في العرف الشائع في زماننا تعني الاعتدال في الاعتقاد والموقف والسلوك والنظام والمعاملة والأخلاق(١٨)، وأما المقياس الذي تعرف به الوسطية وتوزن، فقد وضحه الإمام الشاطبي بقوله: "والتوسط يعرف بالشرع، وقد يعرف بالعوائد، وما يشهد به معظم العقلاء، كما في الإسراف والإقتار في النفقات"(١٩).

وبناء على ذلك يمكن تعريف الوسطية بأنها: منهجية تحمل صاحبها على اتباع الوسط الأعدل والأيسر في كل شيء، من غير إفراط ولاتفريط. فهي حالة محمودة تعصم الفرد من الميل إلى جانبي الإفراط والتفريط، وتحمله على اتباع الأفضل والأعدل والأجود والأكمل(٢٠). وقصد الشارع من الوسطية هو جعل المكلفين في حالة من التوازن من غير غلو ولا تقصير، يقول الإمام الشاطبي: "المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط فيما يليق بالجمهور، فلا يذهب بهم مذهب الشدة، ولا يميل بهم إلى طرف الانحلال، والدليل على صحة هذا أنه الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة... فمقصد الشارع من المكلف الحمل على التوسط من غير إفراط ولا تفريط، فإذا خرج عن ذلك في المستفتين خرج عن قصد الشارع، ولذلك كان ما خرج عن المذهب الوسط مذموما عند العلماء الراسخين"(٢١). وقد رجح الإمام الطبري هذا المعنى حيث يقول: "وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم وسط، لتوسطهم في الدين، فلا هم أهل غلو فيه، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب، وقولهم في عيسى ما قالوا فيه، ولا هم أهل تقصير فيه، تقصير اليهود الذين بدلوا كتاب الله، وقتلوا أنبياءهم، وكذبوا على ربهم، وكفروا به،

١٧- ابن حجر، **فتح الباري**، ج ٨، ص ١٩٥.

١٨- انظر: وهبة الزحيلي، **الوسطية مطلبا شرعيا وحضاريا**، المركز العالمي للوسطية، الكويت، ط١، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ص١٢.

١٩- الشاطبي، **الموافقات**، ج ٢، ص ٢٨٧.

٢٠- انظر: أحمد عمر هاشم، **وسطية الإسلام**، دار الرشاد، ١٩٩٨م، ص ٧.

٢١- الشاطبي، **الموافقات**، ج ٤، ص ٢٥٨.

ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه، فوصفهم الله بذلك، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها"(٢٢).

وقد تجلت مظاهر الوسطية في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله وجميع سيرته، فكان عليه الصلاة والسلام داعية إلى الوسطية ومطبقا لها في جميع أمره، وآمرا أصحابه رضي الله عنهم بالعمل بها في نواحي حياتهم كلها. فسيرة النبي صلى الله عليه وسلم تشهد بأنه عليه الصلاة والسلام قد نهج في جوانب حياته العامة كلها منهج الشمول بحيث لا يغفل جانبا على حساب جانب، ونهج منهج التوازن والاعتدال وعمل بمبدأ العدل والتيسير، وابتعد عن التشدد والتنطع والتكليف بما فيه مشقة، وذم العصبية ومقتها. وقد شكلت هذه المبادئ أو المرتكزات بمجموعها خصيصة الوسطية التي تميزت بها الأمة الإسلامية.

وانطلاقا من ذلك، فإن المسلم يصطحب مرتكزات الوسطية كمعايير عامة في حياته للموازنة بين أصالة المنهج الإسلامي والمعاصرة في تطبيقه، وبين الواجبات المنوطة به والإمكانيات المتاحة، وبين الإنكار لبعض مسائل الواقع وإمكانية التعايش معها، وبين الحرص على اتفاق الأمة واحترام ما اختلفوا فيه. فالوسطية شمول في التصور، وتكامل في السلوك، وهي ليست حكرا على جانب معين من جوانب الحياة.

وبتتبع أحاديث السنة النبوية نجد أنها قد حفلت بأمثلة كثيرة ومتنوعة تظهر فيها وسطية هذا الدين الذي جاء بحنيفية سمحة، وبوسطية بين الغلو والتساهل. وسأكتفي هنا بذكر بعض تلك الأمثلة تحت كل مرتكز، وذلك مراعاة لحجم البحث وطبيعته. وفيما يلي عرض لأبرز مرتكزات الوسطية في السنة النبوية:

المرتكز الأول: الشمول.

المرتكز الثاني: التوازن والاعتدال.

المرتكز الثالث: العدل.

المرتكز الرابع: التيسير.

المرتكز الخامس: البعد عن التنطع والتعصب.

المطلب الأول: المرتكز الأول: الشمول

الشمول هو: التناول الكلي للجزئيات(٢٣). وشملهم الأمر ـ بالكسر ـ شمولا، أي: عمهم. وجمع الله

٢٢- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، **جامع البيان في تأويل آي القرآن**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٣، ص ١٤٢.

٢٣- أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، تحقيق: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ص ٥٤٠.

شمله، أي: ما تشتت من أمره[٢٤]. ولعل الشمول من أبرز مرتكزات الوسطية في السنة النبوية، فقد نهج النبي صلى الله عليه وسلم منهج الشمول في حياته كلها، فلم يهتم بجانب من جوانب الدين أو الحياة على حساب جانب، ولم يغفل جانبا على حساب جانب، فلا نكاد نرى جانبا من جوانب الدين أو الحياة إلا وشملته الوسطية، وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾[٢٥]، فالأمة بمجموعها هي أمة وسط، فنجد المسلم الحق يتصف بوسطيته في علاقته مع ربه، وبذات الوقت في علاقته مع نفسه، وعلاقته مع البشر، وعلاقته مع الكون حوله. فهو يسلك مسلك الوسطية في كل أموره في آن واحد، دون إهمال جانب من الجوانب.

والأحاديث النبوية حافلة بالأمثلة على الشمولية، فمما يدل عليها قوله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضع وسبعون ـ أو بضع وستون ـ شعبة، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان"[٢٦]. فهذا المجال الواسع الشامل في ديننا الحنيف أكبر دليل على وسطية هذا الدين، الذي لم يغفل جانبا من جوانب الدين والحياة.

وحديث آخر يوضح وسطية السنة في شمول الأجور للأمور الدينية والدنيوية، مما يدل على اهتمام الدين بكلا الجانبين، فعن أبي ذر رضي الله عنه، أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم: يا رسول الله، ذهب أهل الدثور بالأجور، يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: "أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن منكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة"، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: "أرأيتم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر؟ فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر"[٢٧]. وهذا دليل على أن "المباحات

٢٤- انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص ١٦٩.

٢٥- سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٢٦- أخرجه أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، **الجامع الصحيح**، كتاب الإيمان ،باب شعب الإيمان، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٠م، ج ١، ص ٦٣، رقم: ٣٥.

٢٧- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج ٢، ص ٦٩٧، رقم: ١٠٠٦.

تصير طاعات بالنيات الصادقات"[٢٨]، وفيه تشجيع للمسلم أن يعمل لدنياه وآخرته، ولا يغفل أحدهما على حساب الآخر، وأن المسلم مأجور على العمل لدنياه كما هو مأجور على العمل لدينه.

وفي مجال الإحسان في العلاقات تظهر الشمولية في مختلف علاقات الإنسان، حيث جعلت السنة علاقة الإنسان بربه على أساس التقوى، وعلاقته بنفسه تكون بإتباع السيئة الحسنة، وعلاقته بغيره أساسها الخلق الحسن. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: "اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"[٢٩]. فالشخصية الوسطية في نظر الإسلام "هي التي جمعت بين إحسان العلاقات الثلاث كلها في وقت واحد، على وجه لا تطغى فيه علاقة على أخرى، مهما تفاوتت العلاقة فيما بينها من حيث قداستها وأهميتها"[٣٠].

ومن ناحية أخرى، نجد أن وسطية الإسلام قد شملت جميع جوانب النفس البشرية، المكونة من: الروح والعقل والجسد[٣١]، ولم تهمل أي جانب منها على حساب جانب آخر. وقد ظهرت وسطية الإسلام وشموليته في التعامل مع هذه الجوانب الثلاثة بطريقة تضمن الانسجام وعدم التناقض فيما بينها، وسأذكر هنا مثالا يوضح هذا المعنى من خلال عبادة الصلاة.

ففي الجانب الروحي، نجد أن عبادة الصلاة هي صلة بين العبد وربه، حيث يقف المصلي بين يدي الله تعالى، ويناجيه معلنا خضوعه واستسلامه لأوامره ونواهيه، وقد أشار النبي صلى الله عليه وسلم إلى هذا المعنى بقوله: "إن أحدكم إذا قام في صلاته فإنه يناجي ربه، أو إن ربه بينه وبين القبلة"[٣٢]. وقد كان

٢٨- أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف بن مري النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ٢، ١٣٩٢هـ، ج ٧، ص ٩٢.

٢٩- أخرجه أبو عيسى محمد بن عيسى الترمذي في، **الجامع الصحيح (سنن الترمذي)**، أبواب الصلة والبر، باب ما جاء في معاشرة الناس، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٩٠م، ج ٤، ص ٣٥٥، رقم:١٩٨٧، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

٣٠- انظر: البيانوني، **الوسطية خصيصة الأمة الإسلامية**، ص ١٥.

٣١- انظر: محمد أبو الفتح البيانوني، **العبادة: دراسة منهجية شاملة في ضوء الكتاب والسنة**، دار السلام، القاهرة، ط ١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٣٧-٣٩.

٣٢- أخرجه محمد بن إسماعيل البخاري، **الجامع الصحيح**، واللفظ له، كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد، ج١، ص ٩٠، رقم: ٤٠٥، ومسلم في **صحيحه**، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها، ج ١، ص ٣٩٠، رقم: ٥٥١.

السلف رحمهم الله تعالى يقدرون للصلاة قدرها، ويولونها اهتماما كبيرا، حتى روي عن بعضهم أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه، فكلم في ذلك، فقال: إني واقف بين يدي الله تعالى، وحق لي هذا مع ملوك الدنيا، فكيف مع ملك الملوك(٣٣). ولا يخفى ما للصلاة من أثر في تعميق صلة الإنسان بخالقه، وتزكية روحه وأخلاقه، وتطهير نفسه من الذنوب والآثام، ففي الحديث الشريف: "أرأيتم لو أن نهرا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى من درنه شيء؟" قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: "فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا"(٣٤). وبذلك يطيب قلب المصلي وتزكو نفسه، ويشعر بالطمأنينة والارتياح، وقد نبّه المصطفى صلى الله عليه وسلم على هذا المعنى، عندما خاطب بلالا رضي الله عنه، بقوله: "يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها"(٣٥). فقد كان اشتغاله عليه الصلاة والسلام بالصلاة راحة له، حيث كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعبا، فكان يستريح بالصلاة، لما فيها من مناجاة الله تعالى(٣٦). ويشهد لذلك قوله صلى الله عليه وسلم: "وجعلت قرة عيني في الصلاة"(٣٧)، وقرة عين المرء ما يطمئن إليه قلبه وروحه، وتطيب به حياته.

وأما الجانب العقلي في عبادة الصلاة، فنجد أن الصلاة فيها من تلاوة لآيات القرآن الكريم،

٣٣- انظر: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط ٢، ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، ج ١٣، ص ٣٤٨.

٣٤- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب مواقيت الصلاة، باب الصلوات الخمس كفارة، ج ١، ص ١١٢، رقم: ٥٢٨، ومسلم في **صحيحه**، واللفظ له، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا، وترفع به الدرجات، ج ١، ص ٤٦٢، رقم: ٦٦٧.

٣٥- أخرجه أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني في **سننه**، كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ج ٤، ص ٢٩٦، رقم: ٤٩٨٥. وقد صحح الحافظ أبو الفضل زين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي، إسناده في **المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار**، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م، ص ١٩٥.

٣٦- انظر: أبو عبد الرحمن محمد أشرف العظيم آبادي، **عون المعبود شرح سنن أبي داود**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ، ج ١٣، ص ٢٢٥.

٣٧- انظر: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب النسائي، **المجتبى من السنن (السنن الصغرى للنسائي)**، كتاب عشرة النساء، باب حب النساء، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ج ٧، ص٦١، رقم:٣٩٤٠، قال الحافظ العراقي: "رواه النسائي والحاكم من حديث أنس بإسناد جيد"، **المغني عن حمل الأسفار**، ص ٤٦٦.

وبعض الأذكار والدعوات، والتي يعمل المصلي فيها عقله ويتفكر في معاني ما يتلوه من تلك الآيات والأذكار، وبقدر ما يكون الإنسان متهيئا لهذه العبادة ومستحضرا قلبه وعقله في أدائها، بقدر ما يكون أجره وثوابه وظهور آثار هذه العبادة عليه. فالناس تختلف أحوالهم في ثواب صلواتهم على حسب حالاتهم في إقامتها(٣٨)، ففي الحديث الشريف عن عمار بن ياسر رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته تسعها ثمنها سبعها سدسها خمسها ربعها ثلثها نصفها"(٣٩).

ومن ناحية الجانب الجسدي فإنه يتجلى فيما تشتمل عليه الصلاة من الحركات المتمثلة في القيام والركوع والسجود، والاطمئنان في كل حركة، فهي بكيفيتها المأثورة أشبه بالتمرينات الرياضية التي يقوم بها الرياضيون لتقوية الجسم ورياضة أعضائه(٤٠). فالصلاة بجانب كونها شعيرة تعبدية فهي نشاط جسدي، وسلوك صحي، يعين على الحفاظ على صحة الإنسان، ووقايتها من الأمراض والآفات.

ولا يخفى كذلك ما تشتمل عليه عبادة الوضوء من غسل وتنظيف لأعضاء الإنسان التي تظهر عادة وتتعرض للغبار والتلوث، وكذلك استخدام السواك الذي يطهر الفم ويطيب رائحته، ففي الحديث الشريف: "السواك مطهرة للفم مرضاة للرب"(٤١). وهذه الأعمال ونحوها لها وظيفة هامة في الحفاظ على نظافة أعضاء الجسم ووقايتها من الأمراض.

وهكذا في غالب الشعائر الدينية، تظهر الشمولية في الوسطية حيث يتنقل المسلم بين رقي روحي يشعره بقربه من خالقه ومحبته له، وتأمل فكري يدفعه لإعمال عقله في آيات الله تعالى وغيرها من الأذكار، وخضوع جسدي عملي لأوامر الله وتشريعاته، فيعيش في حالة من التوازن، تقيم له شؤون حياته(٤٢).

٣٨- انظر: بدر الدين محمود بن أحمد العيني، **شرح سنن أبي داود**، تحقيق: أبو المنذر خالد بن إبراهيم المصري، مكتبة الرشد، الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ج ٣، ص ٤٥٥.

٣٩- أخرجه أبو داود في **سننه**، كتاب الصلاة، باب ما جاء في نقصان الصلاة، ج ١، ص ٢١١، رقم: ٧٩٦. وأبو عبد الله أحمد ابن محمد بن حنبل الشيباني في **مسنده**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وآخرون، الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ج ٣١، ص ١٨٩، وقال العراقي: "أخرجه أحمد بإسناد صحيح"، الإمام العراقي، **المغني عن حمل الأسفار**، ص ٢٠٣.

٤٠- انظر: يوسف القرضاوي، **العبادة في الإسلام**، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ٢١٨.

٤١- أخرجه البخاري معلقًا بصيغة الجزم في **صحيحه**، كتاب الصوم، باب سواك الرطب واليابس للصائم، ج٣، ص٣١.

٤٢- انظر: البيانوني، **العبادة**، ص ٣٧-٣٩.

فأمور الشريعة بشموليتها حاملة على الوسطية وسلوك طريق الاعتدال، وهو الأصل الذي يرجع إليه، والحق الذي ينبغي التمسك به والحرص عليه، والميل عن ذلك تسويل من الشيطان وانحراف عن هدي شرع الرحمن، وفي ذلك يقول بعض السلف: "ما أمر الله بأمر إلا اعترض الشيطان فيه بأمرين ـ لا يبالي بأيهما ظفر ـ غلو أو تقصير. فالمعين على الإثم والعدوان بإزائه تارك الإعانة على البر والتقوى، وفاعل المأمور به وزيادة منهي عنها، بإزائه تارك المنهي عنه وبعض المأمور به"(٤٣).

المطلب الثاني: المرتكز الثاني: التوازن والاعتدال

التوازن يعني عدم طغيان جانب على جانب في حياة المسلم، بحيث يفي بتوازن احتياجات المرء الدينية والاجتماعية والروحية والنفسية والجسدية. ووازن تعني: عادل(٤٤)، "ووازن الشيء الشيء: ساواه في الوزن، وتوازنا واتزنا"(٤٥). و"توازن الشيئان: اتزنا، تعادلا، تساويا في الوزن"(٤٦). وقد لا يتساويان في الوزن تماما ولكن يكونان بمقادير تحقق التوازن، فالغذاء المتوازن مثلًا هو: كميات متناسبة من مواد كربوهيدراتية وبروتين ودهون وفيتامينات ونحوها بحيث تفي باحتياجات الكائن الحي(٤٧). و"توازن الميزانية: المطابقة والتعادل بين الواردات والنفقات المقدرة فيها". ويأتي التوازن كذلك بمعنى: الاعتدال والبعد عن التطرف(٤٨).

والاعتدال هو: توسط حال بين حالين في كم أو كيف، كقولهم: جسم معتدل بين الطول والقصر،

٤٣- أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **مجموع الفتاوى**، تحقيق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٥م، ج ١٤، ص ٤٨٣، وانظر: محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **الوابل الصيب من الكلم الطيب**، تحقيق: سيد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩م، ص ١٤.

٤٤- انظر: الفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص ١٢٣٨.

٤٥- أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري، **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٨م، ج ٢، ص ٣٣٢.

٤٦- انظر: إبراهيم مصطفى، أحمد الزيات، حامد عبد القادر، محمد النجار، **المعجم الوسيط**، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، طبع دار الدعوة، ج ٢، ص ١٠٣٠، وأحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م، ج ٣، ص ٢٤٣٢.

٤٧- أحمد مختار، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج ٣، ص ٢٤٣٢.

٤٨- انظر: المرجع السابق، ج ٣، ص ٢٤٣٣-٢٤٣٤.

وماء معتدل بين البارد والحار، وكل ما تناسب فقد اعتدل، والتعادل: التوازن في المقدار[٤٩]. وعادلت بين الشيئين: سويت بينهما[٥٠]. يقول الإمام الشاطبي: "الشريعة جارية في التكليف بمقتضاها على الطريق الوسط الأعدل، الآخذ من الطرفين بقسط لا ميل فيه، الداخل تحت كسب العبد من غير مشقة عليه ولا انحلال، بل هو تكليف جار على موازنة تقتضي في جميع المكلفين غاية الاعتدال"[٥١].

ولعل من أشهر الأحاديث التي تشهد لمراعاة النبي صلى الله عليه وسلم لمبدأ التوازن والاعتدال حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم، فلما أخبروا كأنهم تقالّوها، فقالوا: أين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم؟ قد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبدا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا، فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أنتم الذين قلتم كذا وكذا؟ أما والله أني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[٥٢]. فهؤلاء الصحابة رضي الله عنهم كانت لهم رغبة صادقة في الاستزادة من الطاعات، ولكنه صلى الله عليه وسلم لم يقرهم على ما ذهبوا إليه، وبين لهم أن السبيل الصحيح هو الموازنة بين حاجات الدنيا والسعي للآخرة، فالمسلم "يفطر ليتقوى على الصوم، وينام ليتقوى على القيام، ويتزوج لكسر الشهوة وإعفاف النفس وتكثير النسل"[٥٣]. وقد ختم هذا الحديث ببيان كون هذا السلوك المتشدد منافيا لطريقته صلى الله عليه وسلم، التي تتميز بالتوازن والسماحة والتيسير، وأن هذا النوع من السلوك ليس مقياسا معتبرا لخشية الله وتقواه، بل هو مخالفة صريحة لمنهجه عليه الصلاة والسلام، فالتنزه عما يفعله النبي صلى الله عليه وسلم، والترفع عنه تقربا إلى الله تعالى، إنما هو ابتداع في الدين، وتنكب عن هدي سيد المرسلين.

٤٩- ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١١، ص ٤٣٣، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص ١٠٣٠، ومحمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، **معجم لغة الفقهاء**، دار النفائس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ١٣٤.

٥٠- انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص ١٥٨، ٢٠٢، ٢٥٤.

٥١- الشاطبي، **الموافقات**، ج ٢، ص ٢٧٩.

٥٢- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح، دار ابن كثير، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ج٥، ص ١٩٤٩، رقم: ٤٧٧٦.

٥٣- ابن حجر، **فتح الباري**، ج ٩، ص ١٠٥.

وفي مجال آخر يظهر الاعتدال والتوازن النبوي بين عبودية التسليم لما جاء به الوحي وبين حرية التفكير وإبداء الرأي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا عدوى ولا صفر ولا هامة" فقال أعرابي: يا رسول الله، فما بال إبلي، تكون في الرمل كأنها الظباء، فيأتي البعير الأجرب فيدخل بينها فيجربها؟ فقال: "فمن أعدى الأول؟"(٥٤). فتقرير النبي صلى الله عليه وسلم لنفي العدوى لم يمنع الأعرابي من إبداء رأيه، ولم يعنفه النبي صلى الله عليه وسلم لسؤاله، بل وضح له أن العدوى لن تقع إلا بأمر الله سبحانه.

وهكذا نأى الرسول عليه الصلاة والسلام بصحابته وأتباعه عن كل ما يخل بتحقيق التوازن والاعتدال في حياة المسلم الدينية والدنيوية. وفي ذلك يقول الإمام القرطبي: "ولم يكن في دين محمد الرهبانية والإقبال على الأعمال الصالحة بالكلية، كما كان في دين عيسى، وإنما شرع الله سبحانه حنيفية سمحة خالصة عن الحرج، خفيفة على الآدمي، يأخذ من الآدمية بشهواتها، ويرجع إلى الله بقلب سليم"(٥٥).

ولحرص السنة النبوية على التوازن بين الأمور التعبدية والأمور الدنيوية، جعلت القيام بتحقيق تلك الواجبات الدنيوية، ومراعاة أحكام الله تعالى فيها، نوعا من أنواع العبادة بمعناها الشامل، حيث يستحق الإنسان عليها الأجر والثواب، كما ورد ذكره سابقًا عند بيان مرتكز "الشمول" في الحديث الشريف الذي رواه أبو ذر رضي الله عنه(٥٦). وهذا يحقق للمسلم شيئًا من الراحة النفسية حيث يؤدي واجباته تجاه نفسه البشرية وواجباته تجاه خالقه وهو مطمئن إلى أن عداد الحسنات مستمر في كلا الأمرين.

وفي حديث آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس، يعدل بين الاثنين صدقة، ويعين الرجل على دابته فيحمل عليها، أو يرفع عليها متاعه صدقة، والكلمة الطيبة صدقة، وكل خطوة يخطوها إلى الصلاة صدقة، ويميط الأذى عن الطريق صدقة"(٥٧). وهكذا نجد التوازن بين أعمال المسلم الأخروية والدنيوية، حيث تتنوع أوجه البر وتتعدد، والمسلم مأجور في أدائه لهذه الأعمال سواء كانت متعلقة بدنياه أو بآخرته، ما دام يقصد بها رضوان الله تعالى والاستجابة لأمره سبحانه.

٥٤- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الطب، باب لا صفر، وهو داء يأخذ البطن، ج ٧، ص ١٢٨، رقم: ٥٧١٧.

٥٥- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج ١٠، ص ٥٦-٥٧.

٥٦- أخرجه مسلم في **صحيحه**،كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف، ج ٢، ص٦٩٧، رقم: ١٠٠٦.

٥٧- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجهاد والسير، باب من أخذ بالركاب ونحوه، ج ٤، ص ٥٦، رقم: ٢٩٨٩.

ولا ريب أن البعد عن هذا المرتكز في تحقيق الوسطية سيؤدي إلى فقدان النفس البشرية توازنها في الحياة، فبينما صرفت الرهبانية الإنسان عن وظيفته في عمارة الأرض، وشغلته بأعمال تعبدية محضة، غذت المادية الجانب المادي في الإنسان، حتى غرق فيه وأهمل الجانب الروحي، وفقد السعادة الحقيقية التي يبحث عنها، حتى وصل به الأمر إلى الرغبة في التخلص من هذه الحياة الدنيا وهمومها، عن طريق اللجوء إلى المخدرات والانتحار ونحو ذلك.

المطلب الثالث: المرتكز الثالث: العدل

العدل هو الذي يعطي ما عليه ويأخذ ما له(٥٨). والعدل هو "الذي لا يميل به الهوى فيجور في الحكم"(٥٩)، والعدل: ما قام في النفوس أنه مستقيم، وهو ضد الجور(٦٠). والعدل يأتي بمعنى السواء، قال الله تعالى: ﴿فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍ﴾(٦١)، وسواء الشيء وسطه. والعدل القصد(٦٢). وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الوسط بالعدل، فعن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا﴾(٦٣)، قال: "عدلا"(٦٤).

وفي السنة النبوية ظهر الأمر بالعدل في إعطاء كل ذي حق حقه في أحاديث عديدة، نذكر منها على سبيل المثال عندما "آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين سلمان وأبي الدرداء رضي الله عنهما، زار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلة(٦٥)، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاما، فقال: كل، قال: فإني صائم، قال: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال:

٥٨- انظر: الكفوي، **الكليات**، ص ٦٤٠.

٥٩- أبو السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزري، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م، ج ٣، ص ١٩٠-١٩١.

٦٠- انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١١، ص ٤٣٠، والفيروزآبادي، **القاموس المحيط**، ص ٣٦٨.

٦١- سورة الأنفال، الآية: ٥٨.

٦٢- انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص ١٥٨، ٢٠٢، ٢٥٤.

٦٣- سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

٦٤- أخرجه الترمذي في **سننه**، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة البقرة، ج ٥، ص ٢٠٧، رقم: ٢٩٦١، وقال: "هذا حديث حسن صحيح".

٦٥- التبذل: ترك التزين. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج ١، ص ٢٨٠، ومتبذلة، أي: لابسة ثياب البذلة (المهنة). انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج ٤، ص ٢١٠.

فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقا، ولنفسك عليك حقا، ولأهلك عليك حقا، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "صدق سلمان"(٦٦). لقد عالج سلمان رضي الله عنه الأمر من منطلق وسطية الإسلام، فأمر أخاه بالعدل بإعطاء كل ذي حق حقه واقتنع أبو الدرداء رضي الله عنه بالأمر، ثم بارك لهما النبي صلى الله عليه وسلم فعلهما، وأقرهما على ذلك.

وعن حنظلة الأسيدي رضي الله عنه ـ وكان من كتّاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ قال: لقيني أبو بكر رضي الله عنه، فقال: كيف أنت يا حنظلة؟ قال: قلت: نافق حنظلة، قال: سبحان الله! ما تقول؟ قال: قلت: نكون عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، يذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، فنسينا كثيرًا، قال أبو بكر: فوالله إنا لنلقى مثل هذا، فانطلقت أنا وأبو بكر، حتى دخلنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت: نافق حنظلة يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "وما ذاك؟" قلت: يا رسول الله نكون عندك، تذكرنا بالنار والجنة، حتى كأنا رأي عين، فإذا خرجنا من عندك، عافسنا الأزواج والأولاد والضيعات، نسينا كثيرا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "والذي نفسي بيده إنكم لو تدومون على ما تكونون عندي، وفي الذكر، لصافحتكم الملائكة على فرشكم وفي طرقكم، ولكن يا حنظلة، ساعة وساعة" ثلاث مرات(٦٧). فساعة وساعة هي منتهى العدل في الإسلام، فلا يميل الهوى بالمرء فيجور على شيء لحساب شيء آخر، بل يعطي كل ذي حق حقه.

ومن صور عدل النبي صلى الله عليه وسلم عدم التفريق بين شريف ووضيع، أو بين غني وفقير، فكلهم في ميزان العدل سواء، فقد أخرج الشيخان: أن امرأة شريفة من بني مخزوم سرقت، فأهم قريشا شأن هذه المرأة، وأرادوا أن يتوسطوا عند النبي صلى الله عليه وسلم في درء الحد عنها، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه

٦٦- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الصوم، باب من أقسم على أخيه ليفطر في التطوع ولم ير عليه قضاء، ج ٢، ص٦٩٤، رقم: ١٨٦٧.

٦٧- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الرقاق، باب فضل دوام الذكر... وجواز ترك ذلك في بعض الأوقات والاشتغال بالدنيا، ج ٤، ص ٢١٠٦، رقم: ٢٧٥٠.

وسلم، فأتي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "أتشفع في حد من حدود الله؟" فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله! فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: "أما بعد، فإنما أهلك من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت، لقطعت يدها"(٦٨).

ومن صور عدله صلى الله عليه وسلم أيضًا أن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: أعطاني أبي عطية، فقالت أمه عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى يشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: إني أعطيت ابني من عمرة بنت رواحة عطية، فأمرتني أن أشهدك يا رسول الله! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أعطيت سائر ولدك مثل هذا؟" قال: لا. قال: "فاتقوا الله واعدلوا بين أبنائكم" فرجع بشير، فرد عطيته(٦٩). وفي رواية قال: "ألك بنون سواه؟" قال: نعم. قال: "فكلهم أعطيت مثل هذا؟" قال: لا. قال: "فلا أشهد على جور"(٧٠).

فالعدل مرتكز هام من مرتكزات وسطية هذا الدين، تجلت مظاهره في أفعال النبي صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته لصحابته الكرام رضوان الله عليهم وساروا على نهجه في ذلك حتى عرفت أمة الإسلام بأنها أمة الحق والعدل.

المبحث الرابع: المرتكز الرابع: التيسير

التيسير في اللغة مصدر للفعل يسر، ومعنى "التيسير: التسهيل"(٧١). "والميسور ضد المعسور، وقد يسره الله لليسرى، أي: وفّقه لها"(٧٢). واليسر بالفتح: اللين والانقياد، واليسر: السهل، كالياسر(٧٣).

٦٨- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الحدود، باب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ج٨، ص١٦٠، رقم: ٦٧٨٨، ومسلم في **صحيحه**، واللفظ له، كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، ج٣، ص١٣١٥، رقم: ١٦٨٨.

٦٩- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الهبة وفضلها، باب الإشهاد في الهبة، ج ٣، ص ١٥٨، رقم: ٢٥٨٧.

٧٠- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الهبات، باب كراهة تفضيل بعض الأولاد بالهبة، ج ٣، ص ١٢٤٣، رقم: ١٦٢٣.

٧١- أبو الفتح ناصر الدين بن عبد السيد بن علي بن المطرزي، **المغرب في ترتيب المعرب**، تحقيق: محمود فاخوري وعبد الحميد مختار، مكتبة أسامة بن زيد، حلب، ط١، ١٩٧٩م، ج ٢، ص ٣٩٧.

٧٢- محمد بن أبي بكر الرازي، **مختار الصحاح**، مكتبة لبنان، بيروت، ١٩٨٧م، ص ٧٤٥.

٧٣- انظر: الفيروز آبادي، **القاموس المحيط**، ص ٦٤٣.

فلفظة "اليسر" بجميع صورها السابقة تحمل معاني تسهيل الأمر والبعد عن تعسيره. وعرّف اليسر أيضًا بأنه: "حصول الشيء عفوا، بلا كلفة"(٧٤). يقول الإمام المناوي: "اليسر عمل لا يجهد النفس، ولا يثقل الجسم، والعسر ما يجهد النفس، ويضر الجسم"(٧٥).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يأخذ بالأيسر من الأمور مع حرصه على عدم التساهل في حدود الشرع، فما خُيّر في أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه(٧٦). وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة"(٧٧). ولا يعني ذلك "منع طلب الأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال، أو المبالغة في التطوع المفضي إلى ترك الأفضل، أو إخراج الفرض عن وقته، كمن بات يصلي الليل كله ويغالب النوم إلى أن غلبته عيناه في آخر الليل فنام عن صلاة الصبح"(٧٨).

كما جعل النبي صلى الله عليه وسلم التيسير أساسا في الدعوة إلى دين الإسلام، فعن سعيد بن أبي بردة عن أبيه عن جده أبي موسى الأشعري رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معاذا وأبا موسى رضي الله عنهما إلى اليمن، قال: "يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا"(٧٩). فالصحابيان الجليلان قد بعثهما النبي صلى الله عليه وسلم بغرض الدعوة إلى الإسلام، ومنحهما صلى الله عليه وسلم سرا عظيما من أسرار نجاح الدعوة، ألا وهو التيسير على المدعويين لترغيبهم في الدين. يقول الإمام

٧٤- المرجع نفسه.

٧٥- محمد عبد الرؤوف الحدادي المصري المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: محمد رضوان الداية، دار الفكر، دمشق، ط١، ١٤١٠هـ، ص ٧٤٩.

٧٦- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الحدود، باب إقامة الحدود والانتقام لحرمات الله، ج ٦، ص ٢٤٩١، رقم: ٦٤٠٤، ومسلم، في **صحيحه**، كتاب الفضائل، باب مباعدته صلى الله عليه وسلم للآثام واختياره من المباح أسهله، ج٤، ص ١٨١٣، رقم: ٢٣٢٧.

٧٧- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج ١، ص ٢٣، رقم: ٣٩.

٧٨- ابن حجر، **فتح الباري**، ج ١، ص ٩٤.

٧٩- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب وعقوبة من عصى إمامه، ج ٣، ص ١١٠٤، رقم: ٢٨٧٣، ومسلم في **صحيحه**، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير، ج ٣، ص ١٣٥٩، رقم: ١٧٣٣.

النووي: "فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه، وكانت عاقبته غالبا التزايد منها، ومتى عسرت عليه أوشك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم أو لا يستحليها"(٨٠).

ومن مظاهر التيسير: عدم التكليف بما فيه مشقة، والمشقة مصدر شق، وجمعها مشاق ومشقات، ومعناها: العسر والعناء والتعب والجهد والمحنة(٨١). وهي بإطلاقها تشمل المشقة على نفس صاحبها بأن يكلفها ما لا تطيق، وعلى غيره بأن يكلفه بما فوق طاقته، أي: يضر الناس ويحملهم على أمر شاق، أو يكون في شق منهم وناحية بالخلاف لهم(٨٢). وشق الأمر: صعب، وعلى فلان أوقعه في المشقة(٨٣). وقد نهت الشريعة عن كل عمل يحمل الإنسان ما لا طاقة له به، حيث إن التزام ما يشق من الأعمال ولو كان مع القدرة عليه فمصيره إلى الانقطاع عاجلا أو آجلا، فجاء النهي عن ذلك رحمة بتلك النفوس، ودفعا للمشقة عنها.

وكان النبي صلى الله عليه وسلم حريصا على عدم تكليف أمته بما يشق عليها، فعلى الرغم من حب النبي صلى الله عليه وسلم لإطالة صلاته، إلا أنه كان ينهج منهج الوسطية في أدائها مع الناس، حيث قدم مصلحة الناس العامة على مصلحته الشخصية الخاصة، فنهى صلى الله عليه وسلم عن الإطالة في صلاة الجماعة، خشية أن يشق على أحد من المأمومين، فلعل فيهم الضعيف أو العامل أو الحامل أو الصغير. فقد روى أبو قتادة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: "إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، كراهية أن أشق على أمه"(٨٤). ويقول أنس بن مالك رضي الله عنه: "ما صليت وراء إمام قط أخف صلاة ولا أتم من النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان ليسمع بكاء الصبي فيخفف مخافة أن تفتن أمه"(٨٥).

٨٠- النووي، **المنهاج**، ج ١٢، ص ٤١.

٨١- انظر: أحمد مختار عبد الحميد عمر، بمساعدة فريق عمل، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج ٢، ص ١٢٢٤، ومحمد رواس قلعجي، وحامد صادق قنيبي، **معجم لغة الفقهاء**، ص ٣٤١.

٨٢- جمال الدين محمد طاهر بن علي الصديقي الهندي الفتني الكجراتي، **مجمع بحار الأنوار في غرائب التنزيل ولطائف الأخبار**، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط ٣، ١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م، ج ٣، ص ٢٤٤.

٨٣- إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج ١، ص ٤٨٩.

٨٤- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ج ١، ص ٢٥٠، رقم: ٦٧٥.

٨٥- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجماعة والإمامة، باب من أخف الصلاة عند بكاء الصبي، ج ١، ص ٢٥٠، رقم: ٦٧٦، ومسلم في **صحيحه**، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ج١، ص٣٤٢، رقم: ٤٦٩.

وقد تعددت المرويات في النهي عن الإطالة في صلاة الجماعة، فقد كان ذلك يغضبه صلى الله عليه وسلم وليس من عادته الغضب إلا لله عزّوجل. فقد جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: إني لأتأخر عن صلاة الصبح من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم غضب في موعظة قط أشد مما غضب يومئذ، فقال: "يا أيها الناس! إن منكم منفرين، فأيكم أم الناس فليوجز، فإن من ورائه الكبير والضعيف وذا الحاجة"(٨٦).

ومثال آخر نلمسه في حياة النبي صلى الله عليه وسلم في أمر السواك، فقد كان السواك من الأمور المحببة له صلى الله عليه وسلم، ولكنه لم يأمر به أمته خوفا من المشقة عليها. يروي أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لولا أن أشق على أمتي ـ أو على الناس ـ لأمرتهم بالسواك مع كل صلاة"، وفي رواية: "عند كل وضوء"(٨٧). وكم سيكون الأمر شاقا لو فرض السواك ولا يستحضره الإنسان وقت كل صلاة، كما لايخفى أن الكثير من المسلمين يعيشون في بلاد لا تزرع فيها تلك الشجرة الطيبة.

وكذلك عدم مداومته عليه الصلاة والسلام على بعض العبادات خشية أن تفرض على أمته، وذلك لكمال رحمته بها وشفقته عليها. ومن ذلك ما روته السيدة عائشة رضي الله عنها، قالت: "إن كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليدع العمل، وهو يحب أن يعمل به خشية أن يعمل به الناس، فيفرض عليهم، وما سبح رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحة الضحى قط، وإني لأسبحها"(٨٨). فقد رأت رضي الله عنها أن عدم فعل النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ـ حسب علمها ـ ومداومته عليه، كان بهدف التخفيف على أمته.

٨٦- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأحكام، باب هل يقضي القاضي أو يفتي وهو غضبان، ج ٦، ص ٢٦١٧، رقم: ٦٧٤٠، ومسلم في **صحيحه**، كتاب الصلاة، باب أمر الأئمة بتخفيف الصلاة في تمام، ج١، ص٣٤٠، رقم: ٤٦٦.

٨٧- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الجمعة، باب السواك يوم الجمعة، ج ١، ص ٣٠٣، رقم: ٨٤٧، ومسلم في **صحيحه**، كتاب الطهارة، باب السواك، ج ١، ص ٢٢٠، رقم: ٢٥٢.

٨٨- أخرجه البخاري في **صحيحه** واللفظ له، كتاب الجمعة، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على صلاة الليل والنوافل من غير إيجاب، ج ٢، ص ٥٠، رقم: ١١٢٨، ومسلم في **صحيحه**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب صلاة الضحى، وأن أقلها ركعتان، ج ١، ص ٤٩٧، رقم: ٧١٨. قال النووي: "وأما الجمع بين حديثي عائشة في نفي صلاته صلى الله عليه وسلم الضحى وإثباتها، فهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصليها بعض الأوقات لفضلها ويتركها في بعضها، خشية أن تفرض، ويتأول قولها: "ما كان يصليها" على أن معناه ما رأيته، كما قالت في الرواية الثانية". النووي، **المنهاج**، ج ٥، ص ٢٣٠.

ومن الأمثلة عدم فرض الحج في كل عام، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "أيها الناس، قد فرض الله عليكم الحج، فحجوا"، فقال رجل: أكل عام يا رسول الله؟ فسكت حتى قالها ثلاثا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لو قلت: نعم لوجبت، ولما استطعتم، ثم قال: ذروني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فدعوه"(٨٩).

ومن مظاهر التيسير كذلك: رفع الحرج، والحرج هو "المكان الضيق الكثير الشجر"(٩٠). وأحرجه، أي: أوقعه في الحرج، أو أصابه بشر(٩١). والحرج يعني: الضيق(٩٢)، كما يعني الإثم والمأثم، والحارج: الآثم(٩٣). قال الشوكاني: "فلان يتحرج، أي: يضيق على نفسه الدخول فيما يشتبه عليه"(٩٤). ويعرف الحرج بأنه: "ما يتعسر على العبد الخروج عما وقع فيه"(٩٥).

ولعل من أظهر أمثلة رفع الحرج في السنة النبوية، ما كان في حجة الوداع. فالمعلوم أن الحج فروض وواجبات، كالإحرام، والوقوف بعرفة، والطواف، والوقوف بمزدلفة، والسعي بين الصفا والمروة، ورمي الجمار، والحلق أو التقصير، وغيرها. ولكل منها وقته ومكانه(٩٦). وقد يقدم الحاج نسكا على غيره أو يؤخره أحيانا بدون قصد، فكيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع من حصل له ذلك من المسلمين، وكيف ظهرت وسطيته في رفع الحرج عنهم. لقد بين الصحابي أسامة بن شريك رضي الله عنه ما حصل في تلك الحجة، فقال: "خرجت مع النبي صلى الله عليه وسلم حاجا فكان الناس يأتونه، فمن قال: يا رسول الله!

٨٩- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الحج، باب فرض الحج مرة في العمر، ج ٢، ص ٩٧٥، رقم: ١٣٣٧.

٩٠- الفيروزآبادي، **القاموس**، ص ٢٣٤.

٩١- انظر: محمد مرتضى الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، تحقيق: عبد الكريم العزباوي، مطبعة حكومة الكويت، الكويت، ط ٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ص ١٦٣٨.

٩٢- انظر: الخطابي، **غريب الحديث**، ج ١، ص ٣٥٣، والبعلي، **المطلع على أبواب الفقه**، ص ٣٣٦، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٢، ص ٢٣٣.

٩٣- انظر: الفراهيدي، **كتاب العين**، ج ٣، ص ٧٦، والرازي، **مختار الصحاح**، ص ١٦٧، وابن منظور، **لسان العرب**، ج٢، ص ٢٣٣.

٩٤- محمد بن علي الشوكاني، **فتح القدير**، عالم الكتب، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ج ١، ص ٤٦٦.

٩٥- زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، **الحدود الأنيقة والتعريفات الدقيقة**، تحقيق: مازن المبارك، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، ١٤١١هـ، ص ٧٠.

٩٦- أحمد عز الدين البيانوني، **مجموعة العبادات**، مكتبة المنار، الأردن، ط٣، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ص ٢٤٠-٢٤١.

سعيت قبل أن أطوف، أو قدمت شيئًا، أو أخرت شيئًا، فكان يقول: "لا حرج، لا حرج، إلا على رجل اقترض (اغتاب) عرض رجل مسلم وهو ظالم، فذلك الذي حرج وهلك"(٩٧). فمن وسطية الشريعة أن رفع النبي صلى الله عليه وسلم الحرج عن كل سائل في الحج قدم نسكا على غيره أو أخره وإن كان ناسيًا أو جاهلًا. يقول عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه: "فما سمعته يسأل يومئذ عن أمر مما ينسى المرء ويجهل، من تقديم بعض الأمور قبل بعض وأشباهها، إلا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "افعلوا ذلك ولا حرج"(٩٨). فقوله صلى الله عليه وسلم: "لا حرج" تعني: "افعل ما بقي عليك، وقد أجزأك ما فعلته، ولا حرج عليك في التقديم والتأخير"(٩٩).

وكذلك رفع النبي صلى الله عليه وسلم الحرج في الأمور الحياتية عندما دعت الحاجة إلى ذلك، فقد جاءت هند بنت عتبة بن ربيعة، فقالت: يا رسول الله، إن أبا سفيان رجل مسيك، فهل علي حرج أن أطعم من الذي له عيالنا؟ فقال: "لا حرج عليك أن تطعميهم بالمعروف"(١٠٠). فكان رفع الحرج بالمعروف، أي: بمقدار محدد، وسط لا إفراط ولا تفريط.

فالتيسير مرتكز أصيل من مرتكزات وسطية الدين الإسلامي، وقد سمي الدين بـ: "الحنيفية السمحة" لما فيه من التيسير والتسهيل، كما جاء في حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "لتعلم يهود أن في ديننا فسحة، إني أرسلت بحنيفية سمحة"(١٠١). يقول الإمام ابن عبد البر في شرحه لهذا الحديث: "في هذا الحديث دليل على أن المرء ينبغي له ترك ما عسر عليه من أمور الدنيا والآخرة، وترك الإلحاح فيه إذا لم يضطر إليه، والميل إلى اليسر أبدا، فإن اليسر في الأمور كلها أحب إلى الله وإلى رسوله"(١٠٢).

٩٧- أخرجه أبو داود في **سننه**، كتاب المناسك، باب في من قدم شيئًا قبل شيء في حجه، ج١، ص٦١٥، رقم: ٢٠١٥. والبخاري، **الأدب المفرد**، ص ١٠٩، رقم: ٢٩١، وابن حبان في **صحيحه**، ج ٢، ص ٢٣٦، رقم: ٤٨٦.

٩٨- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الحج، باب من حلق قبل النحر، ج ٢، ص ٩٤٨، رقم: ١٣٠٦.

٩٩- النووي، **المنهاج**، ج ٩، ص ٥٥.

١٠٠- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب المظالم والغصب، باب قصاص المظلوم إذا وجد مال ظالمه، ج ٣، ص ١٣١، رقم: ٢٤٦٠.

١٠١- أخرجه أحمد في **مسنده**، رقم: ٢٤٨٥٥، وحسن المحقق إسناده، ج ٤١، ص ٣٤٩.

١٠٢- أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر القرطبي، **التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد**، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، ومحمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية، المغرب، ١٣٨٧هـ، ج ٨، ص ١٤٦.

المطلب الخامس: المرتكز الخامس: البعد عن التنطع والتعصب

التنطع هو"التعمق قولا وفعلا"[١٠٣]. والمتنطع هو: "المبالغ في الأمر قولا وفعلا، وتنطع في الكلام، أي: بالغ فيه كتشدق"[١٠٤]. والمتنطعون: "هم المتعمقون الغالون، والتنطع في الكلام يعني التعمق فيه، ثم استعمل في كل تعمق قولًا وفعلًا. والتنطع يعني: التكلف لما لم يؤمر به[١٠٥]. والتنطع كالغلو والتشدد فهو: مبالغة في الأمر، يقال: فلان تشدد في الأمر، أي: "بالغ فيه ولم يخفف"[١٠٦]. فالتشدد: "التصلب والمبالغة في الأمر وعدم التخفيف"[١٠٧]. ويكون التنطع بحمل النفس على ما لم يأذن به الشرع، فالأخذ بالعزيمة في موضع الرخصة تنطع، كمن يترك التيمم عند العجز عن استعمال الماء فيفضي به استعماله إلى حصول الضرر[١٠٨].

وفي السنة نجد ترك النبي صلى الله عليه وسلم لكل ما يخل بمبدأ الوسطية، ومن ذلك ذمه التنطع والتشدد في الدين بكل أشكاله وألوانه، سواء ما كان "باتخاذ ما ليس بواجب ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب في العبادات، أو باتخاذ ما ليس بمحرم ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه في الطيبات"[١٠٩]. وقد وردت أحاديث متعددة في ذلك منها قوله صلى الله عليه وسلم: "هلك المتنطعون"[١١٠]. وقوله: "ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه[١١١]"[١١٢]. يقول ابن مسعود رضي الله عنه: "والله الذي لا إله غيره، ما رأيت

١٠٣- ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٨، ص ٣٧٥.

١٠٤- ابن حجر، **فتح الباري**، ج ١، ص ١٩٦.

١٠٥- انظر: الرازي، **مختار الصحاح**، ص ٦٨٨، وابن منظور، **لسان العرب**، ج ٨، ص ٣٥٧.

١٠٦- إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، ج ١، ص ٤٧٥.

١٠٧- رينهارت بيتر آن دوزي، **تكملة المعاجم العربية**، نقله إلى العربية: محمد سليم النعيمي وجمال الخياط، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، ط١، ج ٦، ص ٢٧٦.

١٠٨- انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج ١٣، ص ٢٦٧.

١٠٩- أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، **اقتضاء الصراط المستقيم**، تحقيق: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ط ٢، ١٣٦٩هـ، ص ١٠٣.

١١٠- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب العلم، باب هلك المتنطعون، ج ٤، ص ٢٠٥٥، رقم: ٢٦٧٠. انظر: ابن حجر، **فتح الباري**، ج ١٣، ص ٢٦٧.

١١١- أي: يغلبه الدين، لأنه يكلف نفسه من العبادة فوق طاقته. انظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ج ٣، ص ٢٣٢.

١١٢- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ج ١، ص ٢٣، رقم: ٣٩.

أحدا كان أشد على المتنطعين من رسول الله صلى الله عليه وسلم"(١١٣).

كما جاءت ردة فعل الرسول صلى الله عليه وسلم شديدة على بعض الصحابة رضي الله عنهم وذلك لتشديدهم على أنفسهم وعدم التزامهم الوسطية، عندما تنزهوا عن الأخذ بالرخص لشعورهم أن في ذلك تقصيرا في أداء الطاعات على وجهها المطلوب، قالت عائشة رضي الله عنها: "صنع النبي صلى الله عليه وسلم شيئًا فرخص فيه، فتنزه عنه قوم، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فخطب فحمد الله، ثم قال: "ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه؟ فوالله إني لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية"(١١٤). وقد بينت أم المؤمنين رضي الله عنها كيف كانت شدة غضبه صلى الله عليه وسلم على من شدد ولم يأخذ بتلك الرخصة، فقالت: "بلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فغضب حتى بان الغضب في وجهه"(١١٥). والمعلوم أنه صلى الله عليه وسلم لا يغضب إلا لله أو انتهاك حرماته والغلو والتنطع فيها.

وقد أنكر عليه الصلاة والسلام على من توجه إلى المغالاة في أداء العبادات الإسلامية، وأمر بالقصد، وهو: التوسط والاعتدال، وعدم الميل إلى أحد طرفي التفريط والإفراط(١١٦). ويدل لذلك ما رواه جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنه، قال: مر رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل يصلي على صخرة، فأتى ناحية مكة، فمكث مليا، ثم انصرف، فوجد الرجل يصلي على حاله، فقام فجمع يديه، ثم قال: "يا أيها الناس عليكم بالقصد" ثلاثا "فإن الله لا يمل حتى تملوا"(١١٧).

١١٣- أخرجه أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي التميمي في **مسنده**، تحقيق: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث، دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م، ج ٨، ص ٤٣٧، رقم: ٥٠٢٢. قال الهيثمي: "رواه أبو يعلى والطبراني ورجالهما ثقات"، الهيثمي، **مجمع الزوائد**، ج ١٠، ص ٤٤٠.

١١٤- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب، ج ٥، ص ٢٢٦٣، رقم: ٥٧٥٠، ومسلم في **صحيحه**، كتاب الفضائل، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته، ج ٤، ص ١٨٢٩، رقم: ٢٣٥٦.

١١٥- جزء من حديث أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الفضائل، باب علمه صلى الله عليه وسلم بالله تعالى وشدة خشيته، ج٤، ص ١٨٢٩، رقم: ٢٣٥٦.

١١٦- نور الدين محمد بن عبد الهادي السندي، **كفاية الحاجة في شرح سنن ابن ماجه**، ، دار الجيل، بيروت، ج ٢، ص٥٦٠.

١١٧- أخرجه أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه القزويني في **سننه**، كتاب الزهد، باب المداومة على العمل، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ج ٢، ص ١٤١٧، رقم: ٤٢٤١. قال البوصيري: "هذا إسناد حسن يعقوب مختلف فيه، والباقي ثقات". أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أبي بكر البوصيري، **مصباح الزجاجة في زوائد ابن ماجه**، تحقيق: محمد المنتقى الكشناوي، دار العربية، بيروت، ط ٢، ١٤٠٣هـ، ج ٤، ص ٢٤٥.

وعن بريدة الأسلمي رضي الله عنه قال: "خرجت ذات يوم لحاجة، فإذا أنا بالنبي صلى الله عليه وسلم يمشي بين يدي، فأخذ بيدي فانطلقنا نمشي جميعا، فإذا نحن بين أيدينا برجل يصلي يكثر الركوع والسجود، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: أتراه يرائي؟ فقلت: الله ورسوله أعلم. فترك يدي من يده، ثم جمع بين يديه فجعل يصوبهما ويرفعهما ويقول: عليكم هديا قاصدا. عليكم هديا قاصدا. عليكم هديا قاصدا، فإنه من يشاد هذا الدين يغلبه"(١١٨).

ومن ذلك ما رواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم يخطب، إذا هو برجل قائم في الشمس فسأل عنه؟ قالوا: هذا أبو إسرائيل نذر أن يقوم، ولا يقعد، ولا يستظل، ولا يتكلم، ويصوم، قال: "مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه"(١١٩). وتحقيقا لمبدأ العدل وإعطاء كل أمر حقه، نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن تحميل النفس ما لا تطيق من أعمال، ولو كان بنية العبادة والتقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

وعندما رأى عليه الصلاة والسلام حبلا مدته أم المؤمنين السيدة زينب رضي الله عنها بين ساريتي المسجد، حتى تتعلق به إذا تعبت في قيام الليل، أمر بحله، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: دخل النبي صلى الله عليه وسلم فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: "ما هذا الحبل؟" قالوا: هذا حبل لزينب فإذا فترت تعلقت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد"(١٢٠).

وقد أمر عليه الصلاة والسلام عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن يختم القرآن في شهر، وعندما طلب عبد الله الترخيص له في أقل من ذلك أبى صلى الله عليه وسلم أن يرخص له في ختم القرآن في أقل من أسبوع، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، قال: جمعت القرآن فقرأته كله في ليلة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني أخشى أن يطول عليك الزمان، وأن تمل، فاقرأه في شهر". فقلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال: "فاقرأه في عشرة"، قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي، قال: "فاقرأه

١١٨- أخرجه أحمد في **مسنده**، ج ٣٨، ص ٦١، رقم: ٢٢٩٦٣، وصحح المحقق إسناده، وأخرجه الحاكم في **المستدرك** وصححه، ج ١، ص ٣١٢.

١١٩- أخرجه أبو داود في **سننه**، كتاب الأيمان والنذور، باب من رأى عليه كفارة إذا كان في معصية، ج٣، ص٢٣٥، رقم: ٣٣٠٠.

١٢٠- أخرجه البخاري في **صحيحه** واللفظ له، كتاب الجمعة، ج ٢، ص ٥٤، رقم: ١١٥٠، ومسلم في **صحيحه**، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، أمر من نعس في صلاته، أو استعجم عليه القرآن، أو الذكر بأن يرقد، أو يقعد حتى يذهب عنه ذلك، ج ١، ص ٤٥١، رقم: ٧٨٤.

في سبع"، قلت: دعني أستمتع من قوتي وشبابي فأبى(١٢١).

وقد جاء في الحديث الشريف ما يبين الأثر السلبي للتنطع أو الغلو(١٢٢) في الدين، ومن ذلك مارواه عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، غداة العقبة وهو على ناقته: "القط لي حصى"، فلقطت له سبع حصيات، هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول: "أمثال هؤلاء، فارموا"، ثم قال: "يا أيها الناس، إياكم والغلو في الدين، فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين"(١٢٣).

كما نبّه النبي عليه الصلاة والسلام على أن التنطع في الدين قد يؤدي إلى مروق الإنسان من الدين كله، ومن ذلك ما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: "بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما، أتاه ذو الخويصرة، وهو رجل من بني تميم، فقال: يا رسول الله، اعدل، فقال: ويلك! ومن يعدل إذا لم أعدل، قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل. فقال عمر: يا رسول الله، ائذن لي فيه فأضرب عنقه؟ فقال: دعه، فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية..."(١٢٤). فقد أدى تنطع ذي الخويصرة وأصحابه في العبادات الدينية، من صلاة وصيام وقراءة للقرآن، إلى المروق من الدين، فأساؤوا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

١٢١- أخرجه ابن ماجه في **سننه**، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب في كم يستحب يختم القرآن، ج ١، ص ٤٢٨، وصححه ابن حبان، انظر: الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ج ٣، ص ٢٢، رقم: ٧٥٦.

١٢٢- الغلو: مجاوزة الحد بأن يزاد الشيء في حمده أو ذمه على ما يستحق، ونحو ذلك، والغلو في الدين عام في جميع أنواع الغلو، في الاعتقاد والأعمال. انظر: ابن تيمية، **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تحقيق: ناصر عبدالكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط ٧، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٩م، ج ١، ص ٣٢٩.

١٢٣- أخرجه النسائي في **سننه**، كتاب مناسك الحج، باب التقاط الحصى، ج ٥، ص ٢٦٨، رقم: ٣٠٥٧، وابن ماجه في **سننه**، كتاب المناسك، باب قدر حصى الرمي، ج ٢، ص ١٠٠٨، رقم: ٣٠٢٩، وصححه ابن حبان في **صحيحه**، ج٩، ص ١٨٣-١٨٤، رقم: ٣٨٧١.

١٢٤- أخرجه الإمام البخاري في **صحيحه**، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ج ٤، ص ٢٠٠، رقم: ٣٦١٠، ومسلم في **صحيحه**، كتاب الكسوف، باب ذكر الخوارج وصفاتهم، ج ٢، ص ٧٤٤، رقم: ١٠٦٤.

فتشديد العبد على نفسه بالتنطع والزيادة على ما شرعه الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام، يؤدي إلى تشديد الله تعالى عليه إما بالقدر، وإما بالشرع، وقد نبه على ذلك الإمام ابن القيم، بقوله: "فالتشديد بالشرع: كمن يشدد على نفسه بالنذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل الوسواس، فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر، حتى استحكم ذلك وصار صفة لازمة لهم... فالفقه كل الفقه الاقتصاد في الدين، والاعتصام بالسنة"(١٢٥).

فالبعد عن التنطع سمة رئيسة من سمات الدين الإسلامي عامة، والعبادات الإسلامية خاصة، وقد روي عن أبي بن كعب رضي الله عنه، أنه قال: "عليكم بالسبيل والسنة... وإن اقتصادا في سبيل وسنة، خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنة. فاحرصوا إذا كانت أعمالكم اقتصادا أن تكون على منهاج الأنبياء وسنتهم"(١٢٦). ويؤكد الإمام الحسن البصري على ذلك بقوله: "إن دين الله وضع على القصد، فدخل الشيطان فيه بالإفراط والتقصير، فهما سبيلان إلى نار جهنم"، كما روي عنه قوله: "إن دين الله تعالى وضع دون الغلو وفوق التقصير"(١٢٧). كما جعل الإمام مطرف بن عبد الله بن الشخير التنطع في أعمال البر سيئة والتقصير في ذلك سيئة، فقد روي عنه قوله: "الحسنة بين السيئتين"(١٢٨). ونص الحافظ ابن حجر على "أن الأولى في العبادة القصد والملازمة لا المبالغة المفضية إلى الترك"(١٢٩). وذكر الإمام ابن القيم أن المعيار في معرفة طريق الاستقامة، والبعد عن التنطع والتقصير هو ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضوان الله عليهم، منبها إلى أن "الجائر عنه إما مفرط ظالم، أو مجتهد متأول، أو مقلد جاهل، فمنهم المستحق للعقوبة، ومنهم المغفور له، ومنهم المأجور أجرا واحدا، بحسب نياتهم ومقاصدهم واجتهادهم في طاعة الله تعالى ورسوله، أو تفريطهم"(١٣٠).

١٢٥- محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان**، تحقيق: محمد حامد الفقي، مكتبة المعارف، الرياض، السعودية، ج ١، ص ١٣٢.

١٢٦- المرجع السابق، ج ١، ص ١٣٢.

١٢٧- محمد بن علي بن الحسن، أبو عبد الله الحكيم الترمذي، **نوادر الأصول في أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم**، تحقيق: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل، بيروت، ج ١، ص ١٦٧.

١٢٨- انظر: ابن عبد البر، **الاستذكار**، تحقيق: سالم محمد عطا ومحمد علي معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م، ج ٢، ص ٨٨.

١٢٩- ابن حجر، **فتح الباري**، ج ١، ص ٧١.

١٣٠- ابن قيم الجوزية، **إغاثة اللهفان**، ج ١، ص ١٣١.

وقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أن التنطع تبغضه النفس، فعن جابر بن عبد الله الأنصاري رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "... ولا تبغض إلى نفسك عبادة الله تعالى، فإن المنبت[١٣١] لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى"[١٣٢]. وقد استدل الإمام الغزالي بهذا الحديث على أن الإنسان ينبغي أن لا يكلف نفسه في أعماله الدينية ما يخالف العادة، وإنما يكون ذلك بتلطف وتدرج، فلا ينتقل دفعة واحدة إلى الطرف الأقصى، فإن الطبع نفور، ولا يمكن نقله عن أخلاقه الرديئة إلا شيئًا فشيئًا، حتى تنفصم تلك الصفات المذمومة الراسخة فيه، ومن لم يراع التدرج وتوغل في الأعمال الدينية دفعة واحدة ترقى إلى حالة تشق عليه، فتنعكس أموره، فيصير ما كان محبوبا عنده ممقوتا، وما كان مكروها عنده مشربا هنيئا لا ينفر عنه، وهذا لا يعرف إلا بالتجربة والذوق[١٣٣].

وأما التعصب فهو عدم قبول الحق عند ظهور الدليل من فرط التمادي في الميل والانحياز. وتعصب فهو متعصب، والمفعول متعصب له[١٣٤]، والتعصب: المحاماة والمدافعة. وتعصبنا له ومعه: نصرناه. وعصبة الرجل: قومه الذين يتعصبون له. وقد يكون التعصب دينيًا أو مذهبيًا أو سياسيًا أو طائفيًا وغيرها، وهو سلوك خطير قد يؤدي إلى التطرف والهلاك والخراب[١٣٥]. وقد يكون التعصب لطائفة أو لدين أو لرأي، أو لهوى، وغير ذلك. ولا يخفى أن التعصب هو جور وميل إلى جهة دون جهة، وإلى طرف دون طرف، ولذلك كان البعد عن العصبية مرتكزا لا تقوم الوسطية بدونه.

ولعل أشهر الأمثلة الدالة على مقت العصبية والدعوة إلى تركها ما حدث في صدر الإسلام، حيث كان المسلمون الأوائل لا يزالون يحملون تبعات المجتمع الجاهلي الذي كان مجتمعًا قبليًا في البوادي

١٣١- يقال للرجل إذا انقطع به في سفره وعطبت راحلته: قد انبتَّ، من البت: وهو القطع، يريد أنه بقي في طريقه عاجزا عن مقصده لم يقض وطره، وقد أعطب ظهره. ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث**، ج ١، ص ٩٢.

١٣٢- أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك، **الزهد والرقائق**، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٤١٥.

١٣٣- أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، دار المعرفة، بيروت، ج ٤، ص ٧٩-٨٠، وزين الدين عبدالرؤوف المناوي، **فيض القدير شرح الجامع الصغير**، المكتبة التجارية الكبرى، مصر، ط١، ١٣٥٦هـ، ج ٢، ص ٥٤٤.

١٣٤- انظر: أحمد مختار عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج ٢، ص ١٥٠٥.

١٣٥- ابن منظور، **لسان العرب**، ج ١، ص ٦٠٦، وعمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج ٢، ص ١٥٠٥.

والحواضر، وكانت تحكمه قوانين وأعراف تضمن للقبيلة بقاءها، ولذلك شاعت بينهم العصبية بالمعنى الذي يحمله المثل الجاهلي: انصر أخاك ظالما أو مظلومًا، ولكن الإسلام قد مقت هذه الصفة وحذر منها، وبين الرسول صلى الله عليه وسلم المعنى الحقيقي للنصرة من منظور إسلامي تتحقق من خلاله وسطية هذا الدين، فعن جابر رضي الله عنه قال: اقتتل غلامان غلام من المهاجرين، وغلام من الأنصار، فنادى المهاجر أو المهاجرون، يا للمهاجرين ونادى الأنصاري يا للأنصار، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "ما هذا دعوى أهل الجاهلية" قالوا: لا يا رسول الله، إلا أن غلامين اقتتلا فكسع أحدهما الآخر، قال: "فلا بأس ولينصر الرجل أخاه ظالما أو مظلومًا، إن كان ظالما فلينهه، فإنه له نصر، وإن كان مظلوما فلينصره"(١٣٦).

كما شجع النبي صلى الله عليه وسلم على التزام الجماعة والبعد عن العصبية المسببة للفرقة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: "من خرج من الطاعة، وفارق الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عمية يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة فقتل، قُتِل قتلة جاهلية، ومن خرج على أمتي، يضرب برها وفاجرها، ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفي لذي عهد عهده، فليس مني ولست منه"(١٣٧). قال النووي رحمه الله في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم: "مات ميتة جاهلية": "هي بكسر الميم، أي: على صفة موتهم من حيث هم فوضى لا إمام لهم"(١٣٨). وقال أيضًا: "قوله صلى الله عليه وسلم: "ومن قاتل تحت راية عمية": هي بضم العين وكسرها، لغتان مشهورتان والميم مكسورة مشددة والياء مشددة أيضًا، قالوا: هي الأمر الأعمى لا يستبين وجهه، كذا قاله أحمد بن حنبل والجمهور، قال إسحاق بن راهويه: هذا كتقاتل القوم للعصبية"(١٣٩). وفي معنى قوله

١٣٦- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالما أو مظلوما، على سبيل الرأي، ج ٤، ص١٩٩٨، رقم: ٢٥٨٤.

١٣٧- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر، ج ٣، ص١٤٧٦، رقم: ١٨٤٨.

١٣٨- النووي، **المنهاج**، ج ١٢، ص ٢٣٨.

١٣٩- المرجع نفسه.

صلى الله عليه وسلم: "يغضب لعصبة أو يدعو إلى عصبة أو ينصر عصبة"، قال النووي رحمه الله: "ومعناه إنما يقاتل عصبية لقومه وهواه"(١٤٠).

وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم قدوة في عدم التعصب للرأي، فرغم رفعة مقامه صلى الله عليه وسلم بين قومه خاصة والبشرية عامة، إلا أنه لم يكن يتعصب لرأيه، بل قد يتنازل عنه أمام مشورة من أحد أصحابه أو إحدى زوجاته، فبعد صلح الحديبية قرر النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يعتمروا ذاك العام بل العام المقبل، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأصحابه: "قوموا فانحروا ثم احلقوا"، قال الراوي: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة رضي الله عنها، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة، حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك: نحر بدنه، ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا، فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا حتى كاد بعضهم يقتل بعضا غما"(١٤١).

وفي مثال آخر يظهر عدم تعصبه صلى الله عليه وسلم لرأيه إن لم يكن وحيا، فحين مر بقوم يلقحون، قال لهم: "لو لم تفعلوا لصلح" قال: فخرج شيصًا(١٤٢)، فمر بهم فقال: "ما لنخلكم؟" قالوا: قلت كذا وكذا، قال: "أنتم أعلم بأمر دنياكم"(١٤٣). فقد تنازل صلى الله عليه وسلم عن رأيه الذي صدر عنه من منطلق بشريته، ولم يتعصب له، لأن الرأي البشري قد يصيب وقد يخطئ.

وما أحوج الأمة اليوم إلى تلك الوسطية التي تدعو إلى تكاتف المسلمين وتوحدهم ونبذ كل عصبية تفرق كلمتهم وتشتت صفهم فيغدون لقمة سائغة في أفواه أعدائهم. ولعل الحفاظ على أخوة الإسلام ووحدة صفوف المسلمين، ونبذ كل ما يسيء إليها أو يضعف من عراها، أكثر ما يستدعي أن يتعاون

١٤٠- المرجع السابق، ج ١٢، ص ٢٣٩.

١٤١- أخرجه البخاري في **صحيحه**، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، ج٣، ص ١٩٣، رقم: ٢٧٣١.

١٤٢- الشيص: التمر الذي لا يشتد نواه ويقوى. وقد لا يكون له نوى أصلًا. انظر: ابن الأثير، **النهاية في غريب الحديث والأثر**، ج ٢، ص ٥١٨.

١٤٣- أخرجه مسلم في **صحيحه**، كتاب الفضائل، باب وجوب امتثال ما قاله شرعا، دون ما ذكره صلى الله عليه وسلم من معايش الدنيا، على سبيل الرأي، ج ٤، ص ١٨٣٦، رقم: ٢٣٦٣.

المسلمون فيما اتفقوا عليه، ويعذر بعضهم بعضًا فيما اختلفوا فيه.

الخاتمة

حفلت السنة النبوية بأمثلة كثيرة ومتنوعة تظهر فيها وسطية هذا الدين الذي جاء بحنيفية سمحة، فقد كان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم داعية إلى الوسطية ومطبقا لها في جميع أموره. وقد خلص البحث إلى أن الوسطية: منهجية تحمل صاحبها على اتباع الوسط الأعدل والأيسر في كل شيء من غير إفراط ولاتفريط.

وكان من أبرز نتائج البحث بيان مرتكزات الوسطية في السنة النبوية والمتمثلة فيما يأتي:

١- الشمول، فقد شملت تعاليم السنة النبوية جميع جوانب الحياة، فلم يهتم صلى الله عليه وسلم بجانب من جوانب الدين أو الحياة على حساب جانب، ولم يغفل جانبا على حساب جانب، سواء كان ذلك في علاقته مع ربه، وعلاقته مع نفسه، وعلاقته مع البشر، وعلاقته مع الكون حوله.

٢- التوازن والاعتدال، حيث تجلت مظاهر التوازن والاعتدال في أقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله، فنجد حياته متوازنة بين متطلبات الروح ومتطلبات الجسد، وبين العمل للدين والعمل للدنيا، كما حث أمته على التوازن والاعتدال للوفاء باحتياجاتهم الدينية والاجتماعية والروحية والنفسية والجسدية.

٣- العدل، حيث كان النبي صلى الله عليه وسلم من أعدل الناس وأحرصهم على إعطاء كل ذي حق حقه، وقد حثت الأحاديث الشريفة المسلم على أن يعطي ما عليه ويأخذ ما له، ولا يميل به الهوى فيجور في الحكم.

٤- التيسير، فقد تجلى في السنة المشرفة تيسير النبي صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله وجميع سيرته، فكان صلى الله عليه وسلم داعية إلى التيسير ومطبقًا له في جميع أموره، وآمرًا أصحابه رضي الله عنهم بالأخذ بالأيسر من الأمور مع الحرص على عدم التساهل في حدود الشرع، كما أنه عليه الصلاة والسلام لم يكلفهم بما فيه مشقة، وحرص على رفع الحرج عن المسلمين.

٥- البعد عن التنطع والتعصب، فقد كان صلى الله عليه وسلم من أشد الناس على المتنطعين الذين يحملون أنفسهم على ما لم يأذن به الشرع، فيفضي بهم ذلك إلى حصول الضرر. كما كان صلى الله عليه وسلم قدوة في عدم التعصب لرأي أو لقبيلة أو لطائفة.

ويوصي البحث بما يأتي:

١- التعمق في الكتابة عن خصيصة الوسطية، وذلك لتركيز هذا المفهوم في عقول أبناء الأمة، وبيان غاياته، وحدوده، والكشف عن مناهج السلف الصالح في تطبيقه. فالموضوع لا يزال في حاجة إلى مزيد من البحوث والدراسات.

٢- القيام بأبحاث تركز على أهمية تفعيل خصيصة الوسطية في حياتنا المعاصرة، التي من خلالها يتم تحقيق التكامل بين النقل والعقل، وبين الشريعة والحياة، وبين الأمور النظرية والعملية.

وختاما، أسأل الله أن يوفقنا إلى ما يحب ويرضى، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

****